سِلْسِلَةُ : وُصُولِ التَّهَانِي بِتَفْرِيغِ أشْرِطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (9)

كَلِمَةٌ بعنوان

تَذَكُّرُ الموت،
والاسْتِعْدَادُ لِلآخِرَة

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

– حفظه الله –

المُدرِّس في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

ألقاها يوم الخميس

(24/جمادى الآخرة/1435هـ)

في مسجد بدري العتيبي – رحمه الله –

بالمدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فإنَّ مما لا شك فيه ، واستيقنته القلوب ، وآمنت به النفوس : قضية المفارقةِ لهذه الدار ، هذه الدار دار ممر ، ليست بدارِ مقر ، قد كُتِبَ علينا فيها ما كُتب ، والمُوفَّق من وفَّقه الله للصالحِ فيها ، والمُوفَّق أيضاً بعد ذلك من وفَّقه الله للتوبة قبل الموت ، قبل فوات الفُوت ، فإنَّ العبد لا يدري متى ينزل به الأجل .

فالواجب علينا جميعاً : أن نتوب إلى الله من المعاصي ، والذنوب ، والآثام ، والتقصير ، ونتهيأ بصالح العمل ، واليوم قد تَخطَّانا الموت إلى غيرنا ، وغداً سيتخطَّى غيرنا إلينا :

فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ

كما قال الشاعر :

كم مريضٍ عاش في الدهرِ مُدةً . . . . . وكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ

وصحيحٍ أضحى يعودُ مريضاً . . . . هو أدنى للموت ممن يعودُ

فالموت يمشي به معنا ، وهو أدنى إلى أحدنا من شِراك نعله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

كلُّ امرئٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ . . . والموت أدنى من شِراكِ نعلِهِ

والواجب علينا جميعاً أن نتذكره دائماً وأبداً ، فإنَّ الذي يتذكرُ الموتَ دائماً وأبداً يستعدُّ لأُخراه ، ولا تَغُرُّه دنياه ، ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [فاطر :5] .

﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ [يونس :24] .

ويقول –جل وعلا– : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ**

﴿هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾ [الكهف:45] .

وأهلُ الدين والعلم والإيمان هم أعرفُ الناس بقيمةِ الحياةِ الدنيا ، فهي لا تسوى عند الله جناح البعوضة ، أحقرُ عند الله من ذلك ، فإذا نظر العبد إليها هذه النظرة الصحيحة كانت في يده ، ليس في قلبه ، ليس لها في قلبه مكان ، فتجد كثيرها في عينه قليل ، والقليل كثير ، وهذا ما دعانا إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في تذكيره إيانا وحثّنا على التذكر للموت ، فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال : " أكثروا من ذكر هاذم اللذات [1] " – يعني الموت – ، فإنه ما ذُكر في قليلٍ إلا كثّره ، ولا في كثيرٍ إلا قلّله ، فيورث العبد القناعة ، وعدم الاغترار بهذه الدار ، والتشمير عن ساعد الجد للعمل ، والاستعداد لدار القرار ، طلبةُ العلم وأهل العلم وأهل الدين والصلاح والعبادة هم الذين لا يتشاءمون من ذكر الموت ، وإنما يُحبون ذلك ، لأنه يورثهم القناعة ، ويُصرِم حبال الدنيا في قلوبهم ، لأنهم يعلمون أنه مهما طالت الحياة فإنهم سيغادرونها ، ولذلك يعمرونها بالصالح والاستعداد للقدوم على الله – جل وعلا – .

فينبغي لنا جميعاً أن نحرص على هذا ، لأنَّا إن فعلناه أورثنا الحزم ، والعمل للنُقلى إلى الله – جل وعلا – ، وإن نحن تركنا ذلك أورثنا التكاسل ، والتهاون ، والتسويف ، وترك العمل – عياذاً بالله من ذلك – اتكالاً على طول الأمل .

نُؤَمِّلُ آمالاً ونرجو بلوغها .... وفي كل يومٍ واعظُ الموتِ يَندبُ

أين ستذهب منه اليوم ؟ العام ؟ بعده ؟ نازلٌ لا محالة .

هو الموتُ ما منه ملاذٌ ومهربُ .... إذا حُطَّ ذا نعشه ذاك يركبُ

[1] رواه الترمذي في " جامعه " برقم (2307) وصححه العلامة الألباني .

نشاهدُ ذا عين اليقين حقيقةً . . . . . وفي كل يومٍ واعظُ الموتِ يندبُ

فنسأل الله – جل وعلا – بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ألا يجعلنا وإياكم ممن تغافل عن هذه الحقيقة، وتساهل فيها، فأوبق دنياه وأخراه، أما الدنيا فبالغفلة عن الله، وأما الأخرى فبعدم البناء والاستعداد لها بصالح الأعمال .

إنَّ العلم الذي تتعلمه – معشر الأحبة والأبناء – تتعلمه لماذا ؟

للعمل الصالح، لتُعمر به دار القرار عند الله، لا للمفاخرة، ولا للمباهاة، ولا للمجاراة، ولا للمناظرة والمجادلة والملاحاة، إنما للعمل، فالعمل الذي يورثُ العمل الصالح هو العلم النافع، والذي لا يورث عملاً صالحاً هذه حجة من الله على ابن ادم، فما التعلمُ هذا الذي ننصب فيه، ونتعب فيه : إلا لأجل أن نعمل لدار الآخرة، ونعبد الله على بصيرة، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110] .

هذه الدار سننتقل عنها كما انتقل عنها الأخيار، الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأولياء، والصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، فارقوها، وتركوها، والدَّوْرُ جاءٍ علينا، سنتركها شِئنا أم أبينا .

فالله الله – معشر الأحبة والأبناء – تذكر الله والتجافي عن هذه الدار، فإنها تنتقل عنك رغماً عنك، ويكفيك أن اسمها دنيا، دَنِيَّة،

فيا طالبَ الدُّنيا الدَّنِيَّة جاهِداً . . . . . . ألا اطْلُبْ سِواها إنها لا وفا لها

فكمْ قد رأينا من حريصٍ ومُشفِقٍ . . . . عليها فلم يَظفَرْ بها أن يَنالها

ليلهو ويغتروا بها ما بدا لهم . . . . متى تبلغ الروح تصرم حبالها

لقد نظروا قومٌ بعينٍ بصيرةٍ . . . . إليها فلم تَغرُرْهم باختيالها

ومالَ إليها آخرونَ لجهلهم . . . . فلما اطْمأَنُّوا أرشقتهُم نِبالها

هذه الدار ليست بدار قرار ، فيا - معشر الأحبة - الله الله في الاستعداد للرحيل عنها ، فإنها والله مَن عرفها حق المعرفة لا تكبر في عينه ومَن عرفها حق المعرفة لا تَعظُم في عينه ، ومَن عرفها حق المعرفة لا يغتر بها ، لأنها ظلٌ زائل ، لذلك شبهها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشجرة تفيء ظلالها يمنة ويسرة ، من استظل بها صباحاً انكفأت عنه مساءًا ، ومن استظل بها مساءًا انكفأت عنه صباحاً .

فنسأل الله -جل وعلا- بحوله وقوته أن يحول بيننا وبين اختيالها .

أسأل الله -سبحانه -أن يرزقنا الفقه في دينه ، والبصيرة فيه ، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه ، إنه جوادٌ كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .